بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، و نستعينه، و نستغفره، ونعوذ بالله، من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله r .

يَاأَيُّهَا الّذينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ حَقّ تُقَاته وَلاَتَمُوتُنّ إلاّ وَأَنْتُمْ مّسْلمُونَ

يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوْا اللَّهَ الَّذِيْ تَسَآءَلُونَ بِه وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً

يَاأَيُّهَا الّذينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَديداً. يُصْلحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظيماً.

أما بعد: فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أمّا بعد : فإنه ضمن سلسلة محاضرات الحقوق الواجبة على المسلمين، من فعاليات دورة الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ الشرعية، بجامع الأميرة حصة، بحي الجامعة في مدينة جدة، شاركت بهذه المحاضرة في يوم الخميس ١٤٢٦/٣/٥هـ، وهي بعنوان :

(حق العلماء)[١]

شاركت بها تذكرة لنفسي ولأخواني فيما يجب علينا من حق لعلمائنا رحم الله الأموات منهم، وحفظ لنا الأحياء بصحة وعافية وسلامة.

وقد أدرت المحاضرة على مدخل : في صفة العلماء، وثلاثة مقاصد، وهي التالية:

المقصد الأول : بيان حقوق العلماء.

المقصد الثاني : أضرار ضياع حقوق العلماء.

المقصد الثالث : في ذكر جملة من الآداب مع العالم.

ثم ختمت بكلمة عامة في صفة العلماء وفضلهم.

وقد رأيت أن أقدمها لأخواني مكتوبة عسى أن يكون في ذلك نفعاً وفائدة.

سائلاً الله الكريم رب العرش العظيم أن يتقبل جميع عملي خالصاً لوجهه الكريم، وداعياً إلى سنة نبيه الرؤوف الرحيم، وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) وقد سبق في هذه السلسلة محاضرة بعنوان/ (حق الله تعالى)، ومحاضرة بعنوان (حق الرسول r)، ومحاضرة بعنوان (حق الصحابة رضي الله عنهم).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدخل

صفة العالم

العالم الذي نقصد في هذه المحاضرة ذكره وبيان حقه، هو العالم بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله r ، الذي من أهم صفاته :

الخشوع والخضوع لأمر الله تعالى من صفات الذين أوتوا العلم :

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً. وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً. وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ (الإسراء:١٠٧ــ ١٠٩).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر:٢٨).

زهده وتقلله من الدنيا ونذارته لقومه :

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص:٨٠).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:١٢٢).

أنه يرى أن الحق والهداية في اتباع ما أنزل من الله تعالى:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سبأ:٦).

أنه يعقل الأمثال التي يضربها الله في القرآن الكريم:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٣).

أنه من أهل الاستنباط والفهم:

قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (النساء:٨٣).

فهذا العالم هو الذي نقصد هنا بيان حقه، وخطر ضياع هذه الحقوق، والآداب معه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حق العلماء

للعلماء حُقُوق، مَنْ لَمْ يعرفها لَهُم؛ فليس منَّا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرو، عن النَّبِيِّ r قَالَ: **"مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنا؛ فَلَيْسَ مِنَّا"**(١).

ويُرْوَى عَنْ عُبَادَة بن الصَّامت t بزيادة: **"وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حقه"**(٢).

ومعرفة حق العَالِم هو حَق العلم، أن يعرف قدره بِمَا رفع اللهُ من قدره وآتاه العلم، قال تعَالَى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الْمُجَادلة: من ١١]. فيعرف له درجته الَّتِي رَفَعَ اللهُ له بِمَا آتاه من العلم(٣).

فمن حق العلماء:

١- إحسان الظن بِهِم؛ فإنه إذا كان من حَقِّ الْمُسلم على الْمُسلم أن يُحسن الظن به، وأن يَحمل كلامه على أحسن الْمَحَامل، فمن باب أولَى وأولَى العَالِم، فيحمل قوله وفعله على أفضل الْمَحَامل وأحسنها.

يُروى عن عمر بن الْخَطَّاب أنه قال: "لا تظنن بكلمة خرجت من فِي امرئ مسلم سوءًا وأنت تَجد لَهَا فِي الْخَير مَحملاً"(٤).

ويروى عن مُحَمَّد بن سيرين قال: "إذا بلغك عن أخيك شيء؛ فالتمس له عُذرًا، فإن لَمْ تَجد له عُذرًا؛ فقل: له عذر"(٥).

ويذكر عن جعفر بن مُحَمَّد قال: "إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره؛ فالتمس له عُذرًا واحدًا إلَى سبعين عُذرًا، فإن أصبته، وإلا قل: لعل له عُذرًا لا أعرفه"(٦).

٢- ومن حَقِّهم اتِّهَام الْمَرء نفسه أمام فهمهم وتقواهم وورعهم، فلا يرى نفسه أفضل منهم، ولا يرى لفهمه ميزة على فهمهم.

وأخشى لِمَنْ يرى لنفسه الفضيلة على العُلَمَاء أن يكون فيه من صفات الكبر، فقد جاء فِي الْحَديث عن عَبْد الله بن مَسْعُود، عن النَّبِيِّ r قَالَ: **"لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ**

---

(١) أخرجه أحْمَد فِي الْمُسند - الرسالة (١١/٦٤٤)، تَحت رقم (٧٠٧٣)، وأبو داود فِي كتاب الأدب، بـاب: فِي الرَّحْمَة، حَديث رقم (٤٢٩٢)، وصححه مُحَقق الْمُسند. وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحْمَد بهَذه الزيادة فِي الْمُسند - الرسالة (٣٧/٤١٦)، تَحت رقم (٢٢٧٥٥)، والْحَـاكم - علـوش (١/٣٢٧)، تَحت رقم (٤٢٩)، وسند هذه الزيادة ضعيف جدًّا، كما نبَّه عليه الألباني فِي السلسلة الصحيحة حديث رقم (٢١٩٦)، وفِي السلسلة الضعيفة (٢١٠٨)، وقارن بِمَا جاء فِي تَخـريج الْمُـسند. وإسـناده ضعيف.

(٣) فيض القدير (٥/٣٨٩).

(٤) أخرجه الْمحَاملي فِي أماليه (ص٣٩٥)، وعَزَاه فِي الدر الْمَنثور (٧/٥٦٥) لأحْمَد فِي الزهد.

(٥) الْجَامع لشعب الإيْمَان (١٤/٤٤١)، تَحت رقم (٧٩٨٨).

(٦) الْجَامع لشعب الإيْمَان (١٤/٤٤٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذَرَّة مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوبُهُ حَسَنًا، ونَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: **إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ"**(١).

فبطر الْحَق: دفعه، ورَدُّه، وإنكاره.

وغمط الناس: انتقاصهم، واحتقارهم، والتعَالي عليهم.

فإذا كان هذا الكبر مع عموم الناس، فما بالك مع العلماء.

٣- ومن حَقِّهم أن يُحترم اجتهادهم، حتَّى لو ظهر خطؤه، وبان عدم صوابه، فإنه لا يَخلو عن الأجر؛ إذ حال العلماء فيما اجتهدوا فيه دائر بين الأجرين والأجر والْمَغفرة.

عن عَمْرو بن الْعَاص أنه سَمِعَ رَسُولَ اللهِ r يَقُولُ: **"إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ؛ فَلَهُ أَجْرٌ"**(٢).

يقول ابن القيم -رَحِمَه الله-: "لا قول مع قول الله وقول الرسول، ولابد من أمرين:

أحدهُمَا أعظم من الآخر: وهو النصيحة لله، ولرسوله، وكتابه، ودينه، وتنْزيهه عن الأقوال الباطلة الْمُنَاقضة لِمَا بعث الله به رسوله من الْهُدَى والبيِّنات الَّتي هي خلاف الْحِكْمَة والْمَصلحة والرَّحْمَة والعدل، وبيان نفيها عن الدِّين وإخراجها منه وإن أدخلها فيه من أدخلها بنوع تأويل.

والثاني: معرفة فضل أئمَّة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع فِي فتاويهم من الْمَسَائل الَّتي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول، فقالوا بِمَبلغ علمهم، والْحَق فِي خلافها؛ لا يوجب اطراح أقوالِهم جُمْلَة، وتنقصهم والوقيعة فيهم، فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل بينهما، فلا نؤثِّم، ولا نعصم، ولا نسلك بِهم مسلك الرَّافضة فِي عَليٍّ، ولا مسلكهم فِي الشيخين.

بل نسلك مسلكهم أنفسهم فيمن قبلهم من الصحابةو فإنَّهُم لا يُؤثِّمُونَهُم، ولا يعصمونَهُم، ولا يقبلون كل أقوالِهم، ولا يُهدرُونَهَا.

فكيف ينكرون علينا فِي الأئمَّة الأربعة مَسلكًا يسلكونه هُمْ فِي الْخُلَفَاء الأربعة وسائر الصَّحَابة، ولا مُنَافاة بين هَذين الأمرين لِمَنْ شرح الله صدره للإسلام؟!

وإنَّمَا يتنافيان عند أحد رجلين: جاهل بِمقدَار الأئمَّة وفضلهم، أو جاهل بِحَقيقة الشريعة الَّتي بَعَثَ الله بِهَا رسوله، ومَنْ له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرَّجُل الْجَليل الذي له فِي الإسلام قدم صَالِح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بِمَكان؛ قد تكون منه الْهَفوَة والزلة،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيْمَان، باب: تَحريْم الكبر وبيانه، حديث رقم (٩١).

(٢) أخرجه البخاريَ في كتاب الاعتصام، باب: إذا حكم الْحَاكم فاجتهد، حديث رقم (٦٨٠٥)، ومسلم فِي كتاب الأقضية، بَاب: بيان أجر الْحَاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم (٣٢٤٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يَجوز أن يتبع فيها، ولا يَجوز أن تُهْدَر مكانته وإمامته ومنْزلته من قلوب المسلمين"[١].

٤- ومن حَقِّهم أن يُتأمل قولُهُم واجتهادهم، ولا يهجم إلَى نقده؛ فكم من قول لعَالِم انتقده بعض الناس، وآفة الناقد الفهم السقيم لكلامهم!!

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحًا وَآفتُهُ مِن الْفَـهْمِ السَّقِيـمِ

٥- ومن حَقِّهم ألاَّ ينسب إليهم القصور فِي جَوَانب من العلم الدنيوي، فلا يُقَال عن العَالِم: إنه لا علم له بالطب أو الْهَندَسة، وكذا ما يُشَنشن به بعضهم من نسبة القصور فِي فقه الواقع للعلماء، وما دَرَى الْمسكين ما هو فقه الواقع الْمُعتبَر! وما درى أنَّ فِي الشرع كفاية وغنية لِمَنْ أراد العلم الْحَق والْمَعرفَة الصحيحة!!

فـ [الواجب على الْمُسلم أن يَحفظ لسانه عَمَّا لا ينبغي، وألاَّ يتكلم إلاَّ عن بصيرة، فالقول بأنَّ فلانًا لَمْ يفقه الواقع؛ هذا يَحتاج إلَى علم، ولا يقوله إلاَّ من عنده علم حتَّى يستطيع الْحُكم بأنَّ فلانًا لَمْ يفقه الواقع، أمَّا أن يقول هَذَا جُزَافًا، ويَحكم برأيه على غير دليل؛ فهذا منكر عظيم لا يَجوز، والعلم بأن صاحب الفتوى لَمْ يفقه الواقع يَحتاج إلَى دليل، ولا يَتَسنَّى ذلك إلاَّ للعلماء][٢].

٦- ومن حَقِّهم لزومهم، والالتفاف حولَهُم، والأخذ منهم، ونبذ الفُرقَة والاختلاف، وليُعلم أن البعد عنهم خطره جسيم، فَإِنَّمَا يَأكُلُ الذِّئبُ من الغنم الْقَاصيَة، وفِي الْجَمَاعَة والالتفاف حول العلماء ولزومهم السَّلامَة من الوقوع فِي البدعة بين براثن الْهَوَى والشهوة، وفيه تعظيم أمر الدِّين وأمر العلم والعلماء، وإدخال الرَّهبَة فِي أصحاب الْمَعصية والفسق.

٧- ومن حَقِّهم حُرمَة الوقوع فيهم وفِي أعراضهم، فإذا كان كل الْمُسلم على الْمُسلم حرام: دمه وماله وعرضه، وهذا فِي عُمُوم الْمُسلمين، فكيف الْحَال بأعراض العلماء، وهم خَاصَّة الْمُسلمين؟! لا غَرْوَ كانت لُحُوم العلماء مَسْمومة، وسنَّة الله فِي منتقصيهم مَعلومَة!

٨- ومن حَقِّهم ألاَّ يُفتأت عليهم، ولا يتَقَدَّم بين أيديهم، بل يُرْجَع إليهم عند نزول النازلة؛ ليستنبط حكمها من الشرع؛ امتثالاً لقوله -تبارك وتعَالَى-: [النساء:٨٣]. فإصدار البيانات العَامَّة والْخطَابات العَامَّة فِي النوازل لا يُفتأت فيه عليهم، بل لابد من الرجوع إليهم، فَإِنَّ هَذَا من حَقِّهم.

قال الشيخ عبد الرَّحْمَن بن ناصر السَّعدي -رَحِمَه الله تعَالَى- عند تفسيره للآية الكَرِيْمَة السَّابقة:

"هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لَهُم إذا جاءهم أمر من

---

(١) إعلام الْمُوَقعين (٣/٣٨٢-٣٨٣).
(٢) ما بين معقوفتين من كلام ابن باز -رَحِمَه الله- فِي بعض فتاواه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمور الْمُهِمَّة والْمَصَالِح العَامَّة، ما يتعلق بالأمن، وسرور الْمُؤمنين، أو بالْخَوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الْخَبَر؛ بل يَردُّونه إلَى الرَّسُول وإلَى أولِي الأمر منهم: أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون الْمَصَالِح وضدها.

فإن رأوا فِي إذاعته مصلحة ونشاطًا للمؤمنين وسُرُورًا لَهُم، وتَحَرزًا من أعدائهم؛ فعلوا ذلك.

وإن رأوا ما فيه مصلحة أو فيه مصلحة، ولكن مَضَرته تزيد على مصلحته؛ لَمْ يذيعوه؛ ولهَذَا قال: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [النساء: من الآية ٨٣]. أي: يَستَخرجُونَه بفكرهم وآرائهم السَّديدَة، وعلومهم الرَّشيدة.

وفِي هذا دليل لقاعدة أدبيَّة، وهي: أنه إذا حَصَلَ بَحث فِي أمر من الأمور، ينبغي أن يُوَلَّى مَنْ هو أهل لذلك، ويُجعل إلَى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلَى الصَّوَاب، وأحرى للسَّلامَة من الْخَطَأ.

وفيه النهي عن العَجَلَة والتسرع لنشر الأمور، من حين سَمَاعها.

والأمر بالتأمل قبل الكلام، والنظر فيه: هل هو مصلحة فيقدم عليه الإنسان أم لا فيحجم عنه؟

ثُمَّ قال: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [النساء: من الآية ٨٣]. أي: فِي توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لَمْ تكونوا تعلمون: ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [النساء: من الآية ٨٣] [النساء: من الآية ٨٣]. لأنَّ الإنسان بطبعه ظَالِم جَاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشَّرِّ، فإذا لَجَأ إلَى ربِّه، واعتصم به، واجتهد فِي ذلك؛ لطف به، ووَفَّقَه لكل خير وعصمة من الشيطان الرَّجيم"[1] اهـ.

٩- ومن حَقِّهم ترك التعصب لقَولِهم دون دليل، فإن هُناك فرقًا بين تعظيم العَالِم وتوقيره ومعرفة حَقِّه، وبين التعَصُّب لقوله وإن خالف الدليل.

فإن التعصب مذموم، وهو من الْجَهل، وتوقير العَالِم واحترامه من فضل العلم ممَّا دعا إليه الشرع، وترك التعصب لأقوال العُلَمَاء الَّتِي خَالَفَهَا الدليل ليس من باب إهدار أقوال العلماء وضياع حقوقهم، بل هو من تَجريد الْمُتَابعة للمعصوم ﷺ، وهو من حفظ حقوق العلماء.

---

(١) تفسير ابن سعدي "تيسير الكَرِيْم الرَّحْمَن" الطبعة الَّتِي على هامش القرآن العظيم (ص١٩٠)، وقارن بـ: "مَحَاسن التأويل" للقاسِمِي (٥/٣٢٤-٣٢٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال ابن قيم الْجَوزيَّة -رَحِمَهُ الله-: "الفرق بين تَجريد متابعة الْمَعصُوم وإهدار أقوال العلماء وإلغائها:

أن تَجريد الْمُتَابعة: ألاَّ تقدم على ما جاء به قول أحد ولا رأيه كائنًا مَنْ كان، بل تنظر فِي صحة الْحَديث أولاً، فإذا صَحَّ لك؛ نظرت فِي معناه ثانيًا، فإذا تبيَّن لك؛ لَمْ تعدل عنه ولو خَالَفَك مَنْ بين الْمَشرق و الْمَغرب؛ ومعاذ الله أن تتفق الأمة على مُخَالفة ما جاء به نبيها، بل لابد أن يكون فِي الأمة مَنْ قال به ولو لَمْ تعلمه، فلا تَجعل جهلك بالقائل به حُجَّة على الله ورسوله، بل اذهب إلَى النص ولا تضعف، واعلم أنه قد قال به قائل قطعًا، ولكن لَمْ يصل إليك.

هذا مع حفظ مَرَاتب العلماء وموالاتهم، واعتقاد حرمتهم وأمانتهم واجتهادهم فِي حفظ الدِّين وضبطه، فهم دائرون بين الأجر والأجرين والْمَغفرة؛ ولكن لا يوجب هذا إهدار النصوص، وتقديْم قول الواحد منهم عليها، بشبهة أنه أعلم بهَا منك، فإن كان كذلك؛ فَمَنْ ذهب إلَى النص أعلم به منك؛ فَهَلاَّ وافقته إن كنت صَادقًا!!

فَمَنْ عرض أقوال العلماء على النصوص، ووزنَهَا بهَا، وخَالَفَ منها ما خالف النص؛ لَمْ يهدر أقوالَهُم، ولَمْ يهضم جانبهم، بل اقتدى بهم، فإنَّهُم كلهم أمروا بذلك، فمتبعهم حقًّا مَن امتثل ما أوصوا به، لا مَنْ خالفهم، فخلافهم فِي القول الذي جاء النص بخلافه أسهل من مُخَالفتهم فِي القاعدة الكلية الَّتي أمروا ودعوا إليها؛ من تقديْم النص على أقوالهم.

ومن هنا يتبيَّن الفرق بين تقليد العَالِم فِي كل ما قال، وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه، فالأول يأخذ قوله من غير نظر فيه، ولا طلب لدليله من الكتاب والسنَّة، بل يَجعل ذلك كالْحَبل الذي يلقيه فِي عنقه يقلده به؛ ولذلك سُمِّيَ تقليدًا بخلاف من استعان بفهمه، واستضاء بنور علمه فِي الوصول إلَى الرَّسُول -صلوات الله وسلامه عليه- فإنه يَجعلهم بمَنْزلة الدليل إلَى الدليل الأول، فإذا وصل إليه؛ استغنَى بدلالته عن الاستدلال بغيره، فمن استدل بالنجم على القبلة، فإنه إذا شاهدها؛ لَمْ يبق لاستدلاله بالنجم مَعنًى.

قال الشافعي: "أجْمَعَ الناس على أن مَن استبانت له سنَّة رسول الله؛ لَمْ يكن له أن يَـــدَعَهَا لقول أحد"(١)اهـــ.

وليخش الذي يُضيِّع حَقَّ العلماء ويؤذيهم من دخوله فِي حرب الله؛ إذ العلماء من الأولياء، قال الله -تبارك وتعَالَى-: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

---

(١) الروح لابن القيم (ص٣٥٦-٣٥٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ r : **"إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"**(١).

وجَاءَ الْحَديث مِنْ طَرِيق عبد الواحد مولَى عُرْوَةَ، عن عُرْوَةَ، عن عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ r : **"قَالَ اللهُ تعالى: مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِي، وَمَا تقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أحبَّهُ، إِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَإِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ. مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ وَفَاتِهِ؛ لأنهُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"**. وفِي رواية: **"مَنْ أَذَلَّ لِي"**(٢).

فهل يريد أحد يَخشى اللهَ ويَخافه أن يكون ممَّن آذن اللهَ بحَرب؟!

وهذا يقرر وجوب مَحبتهم، وموالاتهم، ومَوَدَّتهم، وتوقيرهم، ونصرتهم فِي الْحَقِّ الذي معهم، وإجلالهم لِمَا خَصَّهُم اللهُ به من كونِهم الْمُوَقعين عن رَبِّ العَالَمين، وهذا من أعظم حقوقهم الَّتِي تَجب على عُمُوم الْمُسلمين.

وقد نص العلماء الأعلام أن الاستهزاء والسخرية بالعلماء من أجل ما هم عليه من الشرع استهزاء بالشرع، والاستهزاء بالشريعة كفر!!

واللهُ تعالى يقول: [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ] [التوبة:٦٥-٦٦].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: التواضع، حديث رقم (٦٠٢١).

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أحْمَد فِي الْمُسند (الرسالة ٤٣/٢٦١)، تَحت رقم (٢٦١٩٣)، وفِي إسناده عبد الواحد مولَى عروة، يرويه عن عروة، عن عائشة، وقد عَدَّ ابنُ عدي هذا الْحَديث فِي مناكيره.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أضرار ضياع حق العلماء

حياة العَالِم حياة العالَم.

يروى عن عليٍّ بن أبي طالب قال: "إذا مات العالِم انثلمت فِي الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلَى يوم القيامة"(١).

قال ابن القيم -رَحِمَه الله-: "لَمّا كان قيام الإسلام بطائفتَي: العلماء، والأمراء، وكان الناس كلهم لَهُم تبعًا؛ كان صلاح العَالَم بصلاح هاتين الطائفتين، وفساده بفَسَادِهِمَا.

كما قال عبد الله بن الْمُبَارك وغيره من السلف: صنفان من الناس إذا صلحَا؛ صلح الناس، وإذا فَسَدَا؛ فسد الناس. قيل: من هم؟ قال: الْمُلوك، والعلماء.

كما قال عبد الله بن المبارك:

رَأَيْتُ الذُّنوبَ تُميتُ القُلُوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاة القُلُوب ... وَخَيْر لنفْسِكَ عِصْيَانُهَا

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّين إلاَّ الْمُلُوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا(٢)

وإذا كانت طاعة العلماء تبع لطاعة الله ورسوله r ، وطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء؛ فإنَّ معصية العلماء ومُخَالفتهم وضياع حقوقهم ضياع لِحُقُوق الأمراء، وفتح لباب معصيتهم والْخُرُوج عليهم.

فحياة العَالِم وصلاحه حياة العالَم وصلاحه! فإذا ضَاعَت حُقُوق العلماء؛ ضَاعَت حُقُوق الأمراء، وإذا ضَاعَت حُقُوق العلماء والأمراء؛ فَسَدَ العالَم!!

وأضرار ضياع حق العلماء كثيرة، منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو خفي، فإن ضياع حق العلماء فساد فِي الأرض، والله يقول: [ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] [الروم:٤١].

فمن أضرار ضياع حق العلماء:

١- **رفع العلم:** فإذا كان العلم يقبض بمَوت العلماء، وإذا كان ضياع حق العَالِم يُسَبِّب الْحِرْمَان من علمه؛ فإنَّ ضَيَاع حَقِّ العَالِم كَمَوته يقبض بسببه العلم، فضياع حق العلماء هو موت حكمي للعلم.

عن عَبد الله بن عَمْرو بن الْعَاص قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله r يَقُولُ: " **إِنَّ الله لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِن الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا؛ اتَّخَذَ النَّاسُ**

---

(١) الْجَامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/١٩٩).

(٢) إعلام الْمُوَقعين (١/٨-١٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"[١].

وبَوَّب البخَاريُّ في صحيحه في كتاب العلم : "بَاب كَيْفَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَكَتَبَ عُمَرُ بن عَبْد الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكر بن حَزْمٍ: "انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ r فَاكْتُبْهُ؛ فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ، وَلا تَقْبَلْ إِلاَّ حَدِيثَ النَّبِيِّ r ، وَلْتُفْشُوا الْعِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لا يَعْلَمُ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ لا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا"اهـ.

وقول عمر بن عبد العزيز -رَحِمَه الله-: "فَإِنَّ الْعِلْمَ لا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا". أي: خفية، أراد به: كتمان العلم[٢].

وهذا من لَوَازم ضياع حَقِّ العلماء، فإذا ما ضُيِّع حق العَالِم؛ يُزهد في علمه ويكتم، فلا يعود يعرف إلا سرًّا، بسبب غلبة الْجَهل على الناس؛ فلابد أن يعرف الناس العَالِم، ويَجلس للناس يعلمهم، ويَجلس الناس إليه لينتفعوا بعلمه: "وَلْتُفْشُوا الْعِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لا يَعْلَمُ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ لا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا".

فإن قيل: ما مناسبة قبض العلم بمَوت العلماء حقيقة أو حكمًا، والقرآن العظيم موجود، والسنَّة موجودة، وكتب العلم موجودة مُدَوَّنة؟!.

فَالْجَوَاب: يقبض العلم بمَوت العلماء، كما قال الرسول r .

ولعل مناسبة ذلك تظهر في الأمور التالية:

الأمر الأول: أنَّ العَالِمَ يعظم أمر الدِّين والشرع، فيحث الناس ويدعوهم إلَى تطبيقه سننًا وواجبات، فكم من سنَّة مُدَوَّنة ومكتوبة أظهرها الله على يد عالِم، دعا الناس إليها، وعَلَّمَهُم إياها، وحثهم على إحيائها، ولا يَحصل هذا بمُجَرَّد الكتب.

الأمر الثاني: أنَّ العَالِمَ بين الناس قدوة صَالِحَة، يرى الناس فيه الدِّين مطبقًا ظاهراً، والقدوة من أعظم طرق التربيَّة والتعليم، فالسنَّة شعار العَالِم، فإذا مات العَالِمُ؛ اختفت صورة الدِّين الَّتي كانت عليه بين الناس، وحصول القدوة لا يكون بمُجَرَّد الكتب.

الأمر الثالث: أنَّ العَالِمَ لديه ملكة علميَّة فقهيَّة تساعده على الاستنباط، فإذا ما نزلت النازلة أمكنه بأسرع وقت استنباط الْحُكم وتعليمه ونشره بين الناس، وبيان حكم الشرع في هذه النازلة، وهذه الْمَلَكة لا تأتي بمُجَرَّد قراءة للكتب عند نزول النازلة بدون طول مُمَارسة ومُشَافهة للعلماء.

الأمر الرابع: أنَّ العَالِمَ يَجتمع لديه من فقه الكتاب والسنَّة، ومن العلوم والْمَعَارف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم، حديث رقم (١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه، وظهور الْجَهل والفتَن، حديث رقم (٢٦٧٣).
(٢) عُمْدَة القاري شرح صحيح البخاري (١٢٩/٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتجارب والدِّرَاية بأحوال الناس وشئونهم وأمورهم ما لا يوجد فِي كتاب، وإذا أراد أحد أن يتتبع كل ذلك؛ احتاج إلَى زمان طويل؛ إذ العالِم طوى ذلك فِي سنوات عمره منذ تلقيه للطلب، فكيف يأتي هذا عن مُجَرَّد كتاب؟!

الأمر الْخَامس: أن للعلماء ثلاثة أسْمَاء، وهي التالية:

الاسم الأول: العَالِم، وهو الذي يقرر أحكام الشرع على ما هي عليه.

الاسم الثاني: الْمُفتِي، وهو من يَنزل حكم الشرع على واقع الْمُستفتِي.

الاسم الثالث: الْحَاكم الشرعي، وهو القاضي، وهو الذي يُنَفِّذ الْحُكم ويطبقه، واجتهاده يرفع الْخِلاف فِي الْمَسألة الاجتهاديَّة.

وكل حاكم مُفْتٍ، وكل مُفْتٍ عالِم، ولا عكس.

والكتب لا تعطي عالِمًا، ولا مفتيًا، ولا حاكمًا شرعيًّا على الوصف السابق:

فلا يستطيع الكتاب أن يَجمع ما يَحتاجه تقرير الْحُكم الشرعي فِي القضية الْمُعينة، فتحتاج أن تطالع فيها أكثر من كتاب، وتَحتاج الترجيح عند الاختلاف، وتطبيق قواعد أهل العلم، وهذا لا يعطيكه كتاب. ولا يستطيع الكتاب أن ينْزل حكم الشرع على واقع الْمُستفتِي. ولا يستطيع الكتاب أن ينفذ الْحُكم ويطبقه فِي الْحُكُومة.

الأمر السادس : أن العالم هو الذي يستطيع أن يرد الاعتراضات عن النص الشرعي، ودفع الإشكال عنه، والجمع والتوفيق بين النصوص.

فقبض العلم بمَوت العلماء، كما قال الرسول r .

٢- **غياب الْمَرجعيَّة:** وذلك أن ضياع حق العلماء يَجعل العَوَام لا يعرفون قدر أهل العلم، ولا يَحفظون مكانتهم، فتغيب شَمس الْمَرجعيَّة عن حَيَاتهم، فيتخبطون فِي ظلام الْجَهل، ويَختل نظام الْحَيَاة، فإنَّ العُلَمَاء هُم الذين يَسُوسُون العباد والبلاد والْمَمَالك، فَمَوتُهم حقيقة أو حكمًا فساد لنظام العَالَم، فما يعود للناس مرجع يرجعون إليه عند نزول النوازل وحدوث الْحَوَادث، فيقعون فِي هرج ومَرج، إلا أن يشاء الله.

وهَذَا مَا جَاءَ فِي الْحَديث عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ r : **"لا تقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وتكثُرَ الزَّلازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وتظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ"**(١). فانظر كيف جاءت هذه الأشراط متتابعة؟!

٣- **اختلال الأمان النفسي:** وذلك لأن غياب الْمَرجعيَّة العلميَّة يترك فراغًا فِي النفس البشريَّة، لا يسده إلا أن تَجد مَنْ يغذي حاجتها، فيتخذ الناس رءوسًا جُهَّالاً فيقع الضرر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الْجُمُعَة، باب: ما قيل فِي الزلازل والآيات، حديث رقم (١٠٣٦)، واللفظ لـه، ومسلم فِي كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه، حديث رقم (١٥٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التالِي:

٤- **اتِّخَاذ رءوسًا جُهَلاء:** وذلك نتيجة غياب الْمَرجعيَّة، وحاجة الْمَرء إلَى مَنْ يرجع إليه فِي سؤاله وبَحثه، فإذا لَم يَجد العُلَمَاء؛ لأنَّ صورتَهُم قد زلزلت فِي ذهنه، وما عاد يراهم عُلَمَاء؛ فإنه ينظر إلَى مَنْ يُبْرز على أنه عَالِم، فيتخذه له مَرجعًا: **"حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا "** .

٥- **ومن أضرار ضياع حق العلماء؛ موافقة أهل البدع والأهواء ومُشَابَهتهم:** وذلك أنَّ من سنن أهل البدع والأهواء انتقاص العلماء، وانظر ما شئت من الفرق والْجَمَاعَات الْمُخَالفة لِهَدي الرسول r ولِمَا كان عليه الصحابة -رضوان الله عليهم- تَجد هذا فيهم:

فالشيعة: أمرهم مشهور(١). **والْخَوَارج:** حَالُهُم فِي ذلك مذكور(٢). **والْمُعتزلة:** شأنُهُم معروف(٣). **والصوفية:** ونبزهم علماء الشرع أمره ملحوظ(٤).

وهكذا لا تَجد فرقة ولا جَمَاعَة ولا طائفة تُخَالف الصراط الْمُستقيم، وتَخرج عن سبيل الْمُؤمنين؛ إلا وهي تتكلم فِي العلماء، وتطعن فيهم، وتضع من شأنِهم، وتضيِّع حقهم، وتتخذ رءوسًا جُهَّالاً!!

قال الشاطبي -رَحِمَه الله-: "روي أنَّ زعيمًا من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل الكلام -يعني: مَا يُسَمَّى بعلم الكلام- على الفقه، فكان يقول: إنَّ علم الشافعي وأبي حنيفة جُملته لا يَخرج عن سراويل امرأة - يعني: أحكام الْحَيض والنفاس -.

هذا كلام هؤلاء الزائغين، قاتلهم الله"(٥).

٦- **ومن أضرار ضياع حق العلماء؛ وقوع الناس فِي الضَّلال، والْخُرُوج عن صراط الْهِدَاية، وسبيل والرشاد:** وذلك أن الناس سيتخذون رءوسًا جُهَّالاً بدلاً من العلماء، فيسألونَهُم، فيفتونَهُم بغير علم فيضلوا، فيكون من الأضرار وقوع الناس فِي الضلال.

وقد جاء ذكر ذلك فِي الْحَديث السابق، وهو ما جاء عن عبد الله بن عَمْرو بن الْعَاص قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله r يَقُولُ: **"إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِن الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ**

---

(١) فهم قد رَدُّوا الصَّحَابة وانتقصوهم؛ إلا آل البيت ومَنْ كان مواليًا لَهُم بزعمهم!.

(٢) فلم يقتصر أمرهم على الانتقاص، بل قاتلوا الصَّحَابة.

(٣) فهم ينبزون أهل السنَّة بالْحَشَويَّة، وبأنَّهُم زوامل أسفار لا علم عندهم.
وفِي ضعفاء العقيلي (٣/٢٨٥): "عن إسْمَاعيل بن عُلية، عن اليسع أبو سعدة قال: "تكلم واصل يومًا، فقال عمرو بن عبيد: اسْمَعُوا فما كلام الْحَسَن، وابن سيرين، والنخعي، والشعبي عندما تسمعون إلا خرق حيض مطروحة". وواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد رءوس الْمُعتزلة.

(٤) فهم يقولون سخرية بأهل السنَّة: علمكم ميِّت عن ميّت، وعلمنا عن الْحَيِّ الذي لا يَمُوت، حدثني قلبي عن ربي.

(٥) الاعتصام (٢/٢٣٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا " (١). **ومَحل الشاهد فيه هنا قوله: "فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا".** فانظر كيف حكم عليهم بالضلال والإضلال**!!**

٧- **ومن أضرار ضياع حقوق العلماء؛ حلول الذل والْهَوَان على الأمة:** يوضح ذلك الْحَديث الذي جاء عن ابن عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ r يَقُولُ: **"إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً لا يَنْزِعُهُ حَتَّى ترْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ"**(٢).

ولا طريق للناس إِلَى الرجوع إِلَى الدِّين إلا بالعلماء، فإذا أضاعوا حَقَّ العلماء، وما عَادُوا يَعرفُونَهُم، وزهدوا فيهم، واتَّخَذُوا رءوسًا جُهَّالاً؛ كيف يرجعون إِلَى الدين؟**!**

والدِّين هو ما جاء فِي حديث جبريل لَمَّا ذكر الإسلام، والإيْمَان، والإحسان، وأشراط الساعة، ثُمَّ قال فِي آخره: **"ثُمَّ انْطَلَقَ** -يعني: السائل الذي جاء يسأل على تلك الْهَيئة العجيبة- **فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ، أتدْرِي مَن السَّائِلُ؟ قُلْتُ:** اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **فإنه جِبْرِيلُ، أَتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ "** (٣).

فإذا أسقط العلماء، واتَّخَذَ الناس رءوسًا جُهَّالاً؛ مَنْ يعود بالناس إِلَى دينهم؟**!** كيف يَخرجون من حال الذُّلِّ والْهَوَان بدون العلماء؟**!**

٨- **ومن أضرار ضياع حقوق العلماء؛ الْخُرُوج عن سبيل الْمُؤمنين:** وهذا منحى توعد أصحابه بالنار: **[**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**]** [النساء:١١٥].

٩- **ومن أضرار ضياع حقوق العلماء؛ الوقوع فِي خلاف ما أمر به r من إكرام العلماء وحفظ حقوقهم وعدم إيذائهم:** واللهُ تبارك وتعالى يقول: **[**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**]** [النور: من الآية ٦٣].

---

(١) حديث صحيح: سَبَق تَخريْجُه قريبًا.

(٢) أخرجه أحْمَد فِي الْمُسند - الرسالة (٨/٤٤٠)، تَحت رقم (٤٨٢٥)، (٩/٥١)، تَحت رقم (٥٠٠٧)، (٩/٣٩٥)، تَحت رقم (٥٥٦٢)، وأبو داود فِي كتاب البيع، باب: فِي النهي عن العينة، حديث رقم (٣٤٦٢)، وأبو يعلى فِي الْمُسند (١٠/٢٩)، تَحت رقم (٥٦٥٩)، والبيهقي فِي السنن الكبرى (٥/٣١٦). والْحَديث ضعفه مُحَققو الْمُسند.

وأشار إِلَى حُسنه مُحَقق مسند أبي يعلى، وصَحَّحَه الألباني بِمَجموع طرقه، فقد أورده فِي السلسلة الصحيحة حديث رقم (١١).

وللحديث شاهد عن ابن مسعود مرفوعًا: "لا تتخذوا الضيعة؛ فترغبوا فِي الدنيا". أخرجه أحْمَد (الرسالة ٦/٥٤)، تَحت رقم (٣٥٧٩)، والترمذي، والْحَاكم، وأورده الألباني فِي السلسلة الصحيحة تَحت رقم (١٣). فالحديث حسن لغيره.

(٣) أخرجه مسلم فِي كتاب الإيْمَان، باب: بيان الإسلام، والإيْمَان، والإحسان، حديث رقم (٨)، عن عمر بن الْخَطَّاب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأدب مع العالم

احترام العلماء وتوقيرهم وتعظيمهم من حقوقهم الَّتِي يَجب علينا مراعاتُهَا، حتَّى قيل: يُعَامل العلماء كمعاملة الْخُلَفاء، يعنِي فِي الأدب معهم.

نقل عن أيوب بن القرية[١] **أنه قال:** "أحق الناس بالإجلال ثلاثة: العلماء، والإخوان، والسلاطين.

فَمَن استخف بالعلماء؛ أفسد مروءته.

ومَن استخف بالسلطان؛ أفسد دنياه.

والعاقل لا يستخف بأحد.

قال: والعاقل دينه شريعته، والْحِلْم طبيعته، والرأي الْحَسَن سجيته"[٢].

ويُروَى عن عليٍّ بن أبي طالب أنه قال: "من حَقِّ العَالِم عليك: أن تسلم على القوم عَامَّة، وتَخصه دونَهم بالتحية، وأن تَجلس أمامه، ولا تشيرنَّ عنده بيدك، ولا تغمزنَّ بعينيك، ولا تقولنَّ: قال فلان. خلافًا لقوله، ولا تغتابنَّ عنده أحدًا، ولا تسار فِي مَجلسه، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تعرض من طول صحبته، فإنَّمَا هو بِمَنْزلة النخلة تنتظر متَى يسقط عليك منها شيء.

وإنَّ الْمُؤمن العَالِم لأعظم أجرًا من الغازي فِي سبيل الله، وإذا مَات العَالِم انثلمت فِي الإسلام ثلمة، لا يسدها شيء إلَى يوم القيامة"[٣].

فهذه جُملة من الآداب الَّتِي تراعى مع العلماء، ولنفردها على أقسام، فأقول:

الأدب مع العالم في درسه:

فمن الأدب مع العَالِم فِي درسه:

- الْحِرْصُ على الدرس ولزومه.
- تفهم عبارته وإشارته.
- صرف العين والوجه إليه.
- ترك الاشتغال أمامه بأي شيء آخر غير السَّمَاع لدرسه.
- الْحرص على حسن الاستماع وحسن السؤال.
- القرب منه ما أمكن.

---

(١) له ترجمة في سير أعلام النبلاء (٣٤٦/٤). والقرية هي أمه واسم أبيه يزيد بن قيس بن زرارة النمري الهلالي أعرابي أمي فصيح مفوه يضرب ببلاغته المثل.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١٤٦/١).

(٣) الْجَامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٩٩/١)، وعلقه ابن عبد البر فِي جامع بيان العلم وفضله (١٤٦/١)، وأسنده مُختصرًا (١٢٩/١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- قلة الْحَرَكة إلا لحَاجَة أمامه.
- ترك الاسترسال أثناء الدرس بالكلام حتَّى ولو أذن بالتعليق.
- ترك الأسئلة أثناء الدرس وليحفظ الطالب أسئلته إلى ما بعد الدرس.
- إذا سأل العَالِمَ يُحسن سؤاله؛ فإن حُسْنَ السؤال نصف العلم.
- إذا سَمع جواب العَالِم يتدبره ويتفهمه قبل أن يعيد السؤال.

الأدب مع العالم في صحبته:

طالب العلم مع الشيخ خادم، ولأمر ما كان من أسْمَاء طالب العلم مع شيخه: "تلميذ"، والتلميذ جَمعها "التلاميذ"، وهم الْخَدَم والأتباع، ويأتي التلميذ بمعنَى متعلم الصنعة، والتلميذ الْخَادم.

قال الشاعر لبيد بن ربيعة:

فَالْمَــاء يَجلو متونَهن كَمَا ... يَجلــو التلاميذ لُؤلُؤًا قشبَا

قوله: "التلاميذ": غلمان الصناع. وقوله: "القشب". القشيب: الْجَديد، والْجَمع قشب(١).

عن ابن وهب، عن مالك قال: "كان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة من علماء الناس كثير العلم، وكان ابن شهاب يَخدمه حتَّى إنه كان لينَاوله الشيء.

قال: وكان ابن شهاب يصحب عبيد الله حتَّى إنه كان لينْزع له الْمَاء.

قال: وكان عبيد الله بن عبد الله إذا دخل فِي صلاته، فقعد إليه إنسان لَمْ يقبل عليه حتَّى يَخلو من صلاته على نَحو ما كان يرى من طولِهَا.

قال مالك: إنَّ عَليَّ بن الْحُسَيْن كان من أهل الفضل، وكان يأتيه فيجلس إليه، فيطول عبيد الله صلاته، ولا يلتفت إليه، فيقال له: علي بن الْحُسَيْن! وهو مِمَّن هو منه، فقال: لابد لِمَنْ طلب هذا الأمر أن يُعنَى به"(٢).

فطالب العلم فِي صحبة شيخه خادم له، وعليه أن يَتَحَلَّى بالصِّفَات التالية:

- ألاَّ يرفع صوته أمامه.
- أن يبادر إلَى تلبية طلبه.
- ألاَّ يتَقَدَّمه إلا لخدمَته.
- أن يعظمه فِي خطابه.
- ألاَّ يلح عليه عند كسله أو شغله.
- ألا يُحرجه بالسؤال عَمَّا يعلم أن العَالِم لا يريد الكلام فيه.

---

(١) انظر رسالة "التلميذ" للبغدادي (ضمن نوادر الْمَخطُوطَات) تَحقيق عبد السلام هارون (٢٤٣/١).
(٢) الْمَدخل إلَى السنن الكبرى للبيهقي (ص٢٧٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعُمُومًا: عليه أن يَحرص فِي صحبة العَالِم على مُرَاعَاة حق العلم الذي خَصَّه الله به، وليتذكر قول الله -تبارك وتعَالَى-: [الْمُجَادلة:١١].

الأدب مع العالم في مجلسه:

وفِي مَجلس العَالِم ينتبه إلَى الأمور التالية:

- أن يكون مَجلسه دون العَالِم.
- ألاَّ يكون بعيدًا عن العَالِم، ولا قريبًا جدًّا منه فِي مَجلسه.
- أن يتَفَسَّح للطلاب الذين يريدون الْجُلُوس.
- ألاَّ يشغب بالكلام فِي مَجلسه، ولا يُمَاري، ولا يُجَادل.
- ألاَّ يبدأ الْحَديث حتَّى يبدأ الشيخ.
- ألاَّ يفرض على مَجلس الشيخ حديثًا بدون إذن الشيخ.
- ألاَّ يتكلم بعد كلام الشيخ إلاَّ بإذنه.
- ألاَّ يغتاب عنده أحدًا.
- ألاَّ يشعره بتململ أو تضجر.
- ألاَّ يَجلس جلسة تنبئ عن عدم الاكتراث أو قلة الاهتمام.
- أن يتَحَمَّل من شيخه ما قد يعتريه من وعورة خلق أو شدَّة، فإنَّمَا هو بشر.

الأدب مع العالم مع فتواه:

العلماء يوقعون فتاواهم عن الله، فكيف ينبغي أن يكون حالنا معهم فِي فتاواهم؟!

هذه بعض الآداب:

- عدم التعنيف والتشنيع على الواحد منهم إذا كان له رأي رآه بِحَسب اجتهاده فِي مسألة اجتهادية.
- إحسان الظن بِهم فِي فتاواهم، فلا يُقَال عن العَالِم: أفتَى لغرض دنيوي، أو لكذا.
- عند تَحَقُّق خطأ العَالِم يسقط القول الذي أخطأ فيه، ولا يسقط العَالِم.
- الثقة فِي علمه وتَحريره وترجيحه، فيتلقى بالتأمل والتدبر وإحسان الظن، واتِّهَام النفس بعدم الفهم، فلا يهجم على رَدٍّ أو مناقشة قبل ذلك، وإن بدا له شيء؛ فلا يتعجل حتَّى يتأكد ويستشير ويستخير، ثُمَّ يقدم ما بدا له إلَى شيخه برفق وأدب، ودون أن يرى لنفسه فضلاً، فإن لشيخه الفضل أن عَلَّمَه وفَهَّمَه حتَّى استطاع أن ينتبه إلَى ما انتبه إليه.
- الأصل تَلَقِّي فتوى العَالِم بالقبول، إلا أن يظهر مُخَالفتها للدليل الذي يلزم الْمَصير إليه، أمَّا ما دام لَمْ يظهر ما يقتضي مُخَالفتها للدليل الذي يلزم الْمَصير إليه؛ فإنَّ الْمَسألة اجتهادية، والأصل أن اجتهاد العَالِم لا ينقض باجتهاد عَالِم غيره، وذلك فِي غير الْمَسَائل الَّتِي يترافع فيها إلَى الْحَاكم الشرعي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ومن الأدب معه فِي فتواه أو عند ذكره أو ذكر كتبه تعظيمه وتوقيره.

- ومن الأدب معه عند ذكره أن يدعو له، ويعظمه، فلا يُسَمِّيه باسْمِه، ولا ينبزه بلقب، ولا يشينه بنسبة.

- وألاَّ يشير إلَى تناقض فتواه مع أخرى سبقت له؛ إنَّمَا يسأل ويستهدي ويسترشد برفق.

- ألاَّ يقول له: العَالِم الفلاني قال بكذا، يعنِي خلافًا لقوله.

خاتمة

في الحث على لزوم العلماء

اعلم أيها الأخ -وفقنِي الله وإيَّاك لِمَا يُحبه ويرضاه- أن غاية هذه الْمَقَاصد، إنَّمَا هو تأكيد لزوم العلماء، والأخذ عنهم، والْحِرص على مَجَالسهم؛ فإنَّ مَجَالس العلماء [تفيد الْحِكمَة، وبأعمالهم ينْزجر أهل الغَفلة، وهم أفضل من العُبَّاد، وأعلى درجة من الزُّهَّاد، حَيَاتُهُم غنيمة، ومَوتُهُم مُصيبة، يُذَكِّرُون الغافل، ويُعَلِّمُون الْجَاهلَ، لا يتوقع لَهُم بائقة، ولا يُخَاف منهم غائلة.

بِحُسن تأديبهم يتنازع الْمُطيعون، وبِجَميل موعظتهم يرجع الْمُقَصِّرون، جَميع الْخَلق إلَى علمهم مُحتاج، والصحيح على مَنْ خالف بقولِهم محجاج، الطاعة لَهُم من جَميع الْخَلق وَاجبة، والْمَعصية لَهُم مُحَرَّمَة، مَنْ أطاعهم رشد، ومَنْ عَصَاهُم عَنَد، ما ورد على إمام الْمُسلمين من أمر اشتبه عليه حتَّى وقف فيه، فبقول العلماء يعمل، وعن رأيهم يصدر، وما ورد أمراء الْمُسلمين من حكم لا علم لَهُم به بقولِهم يعملون، وعن رأيهم يصدرون، وما أشكل على قضاة الْمُسلمين من حكم؛ فبقول العلماء يَحكمون، وعليه يعولون؛ فهم سرج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الْحِكمَة، هم غيظ الشيطان.

بهم تَحيا قلوب أهل الْحَقِّ، وتَموت قلوب أهل الزيغ.

مَثَلُهُم فِي الأرض كَمَثل النجوم فِي السَّماء، يُهتدى بِهَا فِي ظلمات البر والبحر، وإذا انطمست النجوم تَحيَّروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا][1].

هذا ما يَسَّر الله لِي جَمعه وكتابته، والْحَمْدُ لله الذي بنعمته تتم الصَّالِحَات.

---

(١) ما بين معقوفتين من كلام الآجري -رَحِمَه الله- فِي مُقَدِّمة كتابه "أخلاق العلماء" (١٠-١١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com